

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم اللغة العربية

جامعة ديالى

المرحلة الثالثة

كلية التربية الأساسية

المحاضرة الرابعة

العصر الاموي

شعره ونقده

م.م سجي عبد الرضا

شهد النقد في أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني ازدهاراً ملحوظاً سببه :

١- كثرة الشعراء .

٢- تعدد البيئات الأدبية .

٣- عودة العصبية القبلية .

٤- شيوع مجالس الادب والغناء .

٥- انتشار الأسواق في العراق .

هذه الأسباب خلقت روح نقدية تختلف من ناحية القوة والضعف تعمل على تحليل صياغة الشعر ومعانيه ورجاله تحليلاً يتسم بالعمق والموضوعية، وقد قسمت هذه العوامل النقد إلى ثلاث بيئات تتمثل في:

١-العراق .

٢-الحجاز .

٣-الشام .

هذه البيئات رسمت اطوار الحياة الادبية آنذاك، ولكل منها شخصيته المميزة وملامحه الخاصة بها، تجمعها الروح العامة لظواهر مشتركة تتمثل بالبيان الرائع والفن الشعري ذا الملامح القوية الذي يحمل سمات الأسلوب الجاهلي .

الحجاز

كان شيوع الغزل في هذه البيئة يعود إلى بعد الشعراء عن الأغراض الشعرية الأخرى أمثال الفخر والهجاء والرياء، الأمر الذي دفع الشعراء إلى تطوير بيئة هذا الفن بتأثير مجالس السمر والادب والغناء، الغزل في هذه الحقبة:

١-كثرت مقطوعاته.

٢-عدل الشعراء على الاوزان الخفيفة مثل: الرمل - السريع الخفيف - المتقارب - الهزج - الوافر .

٣-عدلوا على مجزوات الاوزان الطويلة مثل: الكامل - البسيط - الرجز .

٤- مالوا إلى الاوزان الخفيفة مثل: الخفيف - الرمل - المتقارب؛ أملاً في إعطاء المغنين والمغنيات الفرصة الكاملة لتلائم الاشعار مع ألحان الغناء .

٥-اصطنع الشعراء ألفاظ عذبة سهلة حتى يرضوا أذواق المتلقين في المجتمع المحيط بهم وكانت هذه اول خطوة نحو تصفية الشعر العربي من ألفاظ البادية الجافة.

يرى الناقد (شوقي ضيف) أنّ هذا الغزل جاء حصيلة عوامل عدة لعلّ من أهمها:

١-الإسلام.

٢-العاطفة المشبوبة الصادقة.

٣-الفراغ الاجتماعي.

بحكم سيادة هذا الغرض في هذه البيئة اتجه النقد نحوه معاني وأفكار وصور عدة وفق معايير الذوق المرهف والحس الصادق، لكنها لا تخلو من تأثيرات اجتماعية، فقد انتقد المفضل الضبي عمر بن ابي ربيعة شاعر الغزل العذري على غزله الذاتي فلم يكن يحسن الغزل بامرأة حتى قيل عنه أنه

(لم يرق كما رق الشعراء؛ لأنه ما شكا قط من حبيب هجراً ولا تألم لصد، وأكثر اوصافه الغزلية لنفسه وتشبيهه بها، وإن احبابه يجدون اكثر من مما يجد هو بهم ويتحسرون عليه أكثر مما هو يتحسر عليهم).

نقد ابن أبو العتيق كثير عزة على قوله:

ولست براضي من خليل بنائلي قليلاً ولا راض له بقليل

إذ قال معلقاً (هذا كلام مكافئ وليس بعاشق)؛ لأنّ الشاعر ساوى بين نفسه وحبيبته فارتضى لها ما ارتضاه لنفسه.

وقريب من هذا أيضاً ما رآته امرأة في بيت كثير:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من اردان عزة موهناً إذا وقدت بالمندل الرطب نارها

فقالت: فض الله فاك، رأيت لو أن ميمونة الزنجية بخرت بمندل رطب أما كانت تطيب،

ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

ألم ترّ اني كلما جنّت طارقاً وجدتُ بها طيباً وان لم تطيب

يرى النقد الادبي ان شيوع الصورة المثالية في مخاطبة المرأة يدل في تلك البيئة آنذاك على اثر الترف والحضارة في الناس ورقة الإحساس الذي تغزل في نفوس المتلقين، كما ميز الناقد بين التجربة الشعرية المثالية والواقع الذي حدث أو الذي عاشه الشاعر بذاته .

يرى قدامة بن جعفر أنّ النسيب وهو باب من أبواب الغزل يكثر فيه التهاك في الصباية والتظاهر بالعاطفة والافراط في الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقّة أكثر مما يكون فيه من الخشن والجلادة وعلى الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز، فضلاً عن نقد الدلالات الجزئية واتخاذ الموازنة بين الشعراء منهجاً للتقويم الشعراء، في حين تمثل نقد المعاني بمعيار الصدق والابتعاد عن الغلو والاغراق والمبالغة والاقتراب من الصورة النموزجية المثالية في وصف النساء خاصة، وحسن مخاطبتهن.

الشام

بزغت شمس المديح في الشام، واتسعت دائرة النقد مع كثرت قصائد هذا الغرض فوضع النقاد معايير لتقييم وتقويم القصيدة العربية، لعلّ من أهمها:
إن الشعراء الوافدين للشام أمثال: جرير والفرزدق وذو الرمة وكثير لم يكونوا يحسنون مخاطبة هذه الفئة من الناس فجرير مثلاً يخاطب عبد الملك بن يزيد قائلاً:

هذا ابني عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقم إلى قطينا

فيعلق الممدوح منكرًا، أمكا ترون جهل جرير؟ يقول لي ابن عمي، ويقول لو شئت ساقم، اما لو شاء ساقم لأصاب ولعلي كنت افعل، هذه الملاحظات النقدية تحاول ان تضع اصلاً من أصول المخاطبة لعلية القوم وهي نظرة تجعل الناس طبقات ومنازل، ولكل أسلوب للمخاطبة ومعان تحسن فيها ولا تحسن غيرها.

كتب قدامة بن جعفر فصل بعنوان (نعت المديح) وجعله اساساً وقاعدة لقصيدة المدح، وليس من شك في أن النظرة التطبيقية للمدح جديدة على قصيدة المدح العربية، إلا أن المعاني التفصيلية ليست كذلك، فالشاعر العربي كان يصف الممدوح بالإنسانية والسمات العربية المتمثلة بالأخلاق التي لا يعرف سمة غيرها.

وقد بقي المعيار الأخلاقي الديني الذي رسم ملامحه الإسلام معيار للنقد في هذه البيئة ولذلك وجدنا ان عبد الملك لم يعجبه مديح ابن قيس الرقيات حينما قال:

يعتدل التاج فوق مفرقه **على جبين كآئه الذهب**

فرد عليه: تقول لمصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهابٌ من الله **تجلت عن وجهه الظلماء**

وتقول لي جيبني كالذهب مدحت مصعب بالفضائل الأخلاقية ومدحتني بالفضائل المادية وهذا ليس بمقبول.

العراق

طغت في العراق ثلاث شخصيات من الشعراء ودار محور النقد حولهم وهم الفرزدق وجريير والاخلط وقد حفلت كتب الادب والنقد بأخبارهم وما كان يدور بينهم من مناقضات واشعار متقابلة تسمى بفن النقائض.

قام النقد في هذه الحقبة وهما القرنين الأول والثاني حقبة العصر الاموي على الموازنة بين هؤلاء في المعاني والاعراض، أمثال: المدح والفخر والهجاء ولا يعني هذا ان النقد كان قد اغفل الأغراض الأخرى، لكنّه ركز على هذه الأغراض؛ كونها تعد الأساسيّة فيها ومعياريّاً

للفحولة والشاعرية ويرى النقاد المحدثين أن نقد هذه الحقبة لم يعنَ بتحليل النصوص أو الموازنة بينهم فنياً تكشف عن خصائص شعرهم أو عيوبهم وهذا ما لا يفيد النقد في شيء.

أنواع النقد في العصر الاموي

١- **النقد الشعري**: ساعد التعصب القبلي على ازدهار الشعر والنقد معاً حتى اصبحوا نواة نظرية الطبقات التي كتب فيها ابن سلام الجمحي في كتابة طبقات فحول الشعراء؛ كونهم ذا نزعة شعرية لا يجاريهم احد فيها ولا يقاربهم أحد من معاصريهم، لكنّ النقاد شبههم بشعراء العصر الجاهلي أمثال: الاعشى والنابغة وزهير، وبذلك كان يضع النقد يتخذ من مصطلح (الطبقة) منهجاً للموازنة، وهي عند ابن سلام والآمدني.

٢- **النقد اللغوي**: ظهر في أواخر القرن الأول الهجري ملتفتاً لدلالات الالفاظ، وصحة التراكيب وضعفها، والمآخذ النحوية وسرعان ما تطور وتوسع على ايدي الرواة حتى صار اتجاهاً متميزاً وباباً من أبواب نقد الشعر في القرن الثاني للهجرة، وقد ارتبط بالاحتجاج وهو إقامة الحجة والبرهان والاستشهاد وهو الخبر القاطع على صحة القاعدة أو الرأي في القرن الثاني للهجرة، على ان الاستشهاد والاحتجاج كان من نتاج العصر الجاهلي حصراً؛ كون هذا العصر يتسم بالفصاحة والبلاغة وخلو الاشعار من اللحن والخلل.

٣- **النقد الفني**: بزغت شمس والمُراد به تقويم الشعر بصفته شعراً تكون معاييرها على صلة مباشرة مع الشعر من ناحية الدلالة والصياغة والصور والعاطفة والخيال والجانب البلاغي والوحدة العضوية وحسن التخلص والفكرة وفي باب النقد الفني قيل عن جرير انه يحسن ألقاظاً لا يحسنها الفرزدق.

على أن الاصاله والابداع والجدة ودقة الوصف وجودة المطلع ومناسبة الغرض للألفاظ ومثانة الصياغة في النتاج العلمي كانوا معياراً اساسياً لهذا النوع من النقد، فكانوا يفاضلون بين الشعراء في هذه المعايير ومنهم الاصمعي وابن سلام.

سمات النقد في القرن الأول الهجري

١- اتسم بالشمولية والعمق بعيداً عن العمومية فهو لا يقتصر على قصيدة أو ديوان واحد بل يتخذ نتاج الشاعر بأكمله معياراً للحكم على شعريته.

٢- يجد النقد ان ذي الرمة لا يحسن غير التشبيه في شعره وهذا نابع من رؤية النقد المتمثلة في أنّ النقاد اجمعوا على أن الشعر قائم على أربعة اركان وهي المدح الرافع والهجاء الواضح والتشبيه المصيب والفخر السامق، وهذا ما نجه عند جرير والفرزدق والاخلط، في حين أنّ ذي الرمة لم يحن سوى التشبيهات.

٣- على صعيد البناء الشعري لاحظ النقد صلابه شعر الفرزدق، ورقة شعر جرير حتى قال النقاد:

ان الفرزدق ينحت في صخر وجرير يغرف من بحر.

٤- اتسم نقد القرن الاول بأنه انطباعي تأثري لم يخلو من الرواسب النقدية، وهذا يعود إلى حداثته وعدم اعتماده المعايير النقدية وعدم توفر منهج واضح فكانت اغلب الاحكام تذوقية.

سمات النقد في القرن الثاني للهجرة:

١- لم يعد النقد تذوقي، بل تنوعت اتجاهاته وتشعبت اهتماماته وتعمقت نظرتة للشعر.

٢- اعتمد علماء النقد على الثقافة اللغوية والأدبية والتاريخية في تقييم النصوص والحكم عليها.

٣- صار النقد في القرن الثاني للهجرة علماً وصناعة.

٤- برز الاتجاه اللغوي والاهتمام بنقد النصوص وتحقيقها، فضلاً عن الاتجاه الأدبي والفني وتعدد معاييرها.

٥- الاهتمام بنقد الشعر في ضوء ما يروى عن الشعراء من روايات وقد قامت جهود الرواة على امرين أساسيين هما:

تنقية اللغة وتوثيق النصوص.

٦- توسع النقد اللغوي إلى الكشف عن الخطأ والغريب والخلل في الصيغ الاشتقاقية ورصد كل ما هو دخيل وغريب ونادر من الالفاظ.

٧- تنقية الشعر مما يخل بفصاحته أو يبتعد عن الصواب به، فضلاً عن استبدال لفظ بآخر بما يناسب تركيب البيت وما يحسن جودة المعنى وهذا ما قام به الرواة وفي هذا الجانب اتجاهين سلبي وإيجابي يتمثل الأول في الوضع الذي لحق جميع الشعراء بسبب الرواة الكذابين ممن يقدح بأمانته العلمية ويشين بموضوعيته أمثال خلف الأحمر وحمام الرواية، والأخير يتمثل في اصلاح ما ورد من خطل في اشعار القدامى دون قصد.

ما هو أثر نقد العصر الاموي على التدوين

توجه النقاد اللغويين إلى الوقوف على اسرار الاعجاز القرآني وكان ثمرة هذا الاهتمام العودة إلى التراث العربي القديم شعره ونثره ونقده؛ اعتماداً عليه لفهم دلالات القرآن الكريم ومن هنا بدأت عملية تدوين التراث الشعري والاحداث والتراجم وقد نهض لهذا العمل كبار علماء البصرة والكوفة ومنهم عمرو بن العلاء (ت ١٥٤)، وحمام الرواية (ت ١٥٦)، والمفضل

الضبي (ت ١٦٨)، وخلف الأحمر (ت ١٨٠) وغيرهم، وقد اسهم هؤلاء بحكم نشاطهم في التدوين والرواية واللغة وفي نقد الشعر وتقويمه.

ظواهر توثيق النصوص

يندرج تحت مبدأ توثيق النصوص ظاهرتان هما: النحل والصناعة أو الوضع.

١- النحل: هو ادعاء شاعر نسبة بيت أو أكثر له وهي ليست له، وهي ظاهرة جاهلية استمرت حتى العصور الإسلامية وجاءت أقرب إلى السرقة المحضة منها إلى أي شيء آخر وقد اتهم بها من الإسلاميين الفرزدق، إذ قيل أنه كان ينحل من ذي الرمة.

٢- الصناعة: هي ظاهرة إسلامية سببها كما يقول ابن سلام الجمحي تنافس القبائل وتزويدهم بعد ان لاحظ البعض قلة شعر شعرائهم في الجاهلية عمدوا إلى الوضع، فضلاً عن التكسب بالشعر، وحاجة القصاصين إلى الشعر في اقصيهم.

عولجت هذه القضية بنهضة علماء الشعر وكبار نقاده إلى تدوينه والحفاظ عليه من

الضياع أولاً كون اغلب رواة الشعر وحفظته قد توفوا في الحروب أو نتيجة المرض أو كبر السن، وثانياً الحفاظ عليه من النحل والوضع أو الصناعة.

وقد ظهر في مجال التدوين والتوثيق مدرستين هما: المدرسة الكوفية وأخرى البصرية فقد شددت الأخيرة في اللغة والنحو وضيققت الأولى على رواية الشعر ونقله فكان الكوفيون أكثر جرأة في رواية الشعر وتدوينه، فضلاً عن المنهج الذي اعتمده هؤلاء في رواية النصوص وتوثيقها فهم يوازنون بين قصائد الشعر ما إذا كانت متساوية في الجودة الفنية والجمال الاسلوبي وإذا ما وجد فرق في احدى القصائد فهي موضوعة، كما اعتمدوا على الروايات المتعددة لتوثيق النص الواحد وبهذا فقد كان عملهم خالصاً للعلم والحقيقة .

لعلّ ابرز ما آل إليه توثيق النصوص هو التعصب للقديم بشكل مفرط إذ يجدون فيه ما يدعم اللغة والنحو من شواهد وبهذا نستطيع الاستنتاج أن علماء اللغة في القرنين الأول والثاني الهجري هم الذين خلقوا قضية الصراع بين القديم والحديث.